توازي بُنى التضاد في سورة النساء أُسلوبا الترغيب والترهيب أنموذجًا

موسن عبد الغني مال الله المختار* و مها علي احمد **

تأريخ التقديم: 2018/9/18 تأريخ القبول: 2018/10/22

المستخلص :

يهتم هذا المحور بتسليط الضوء على التوازي بوصفه من أهم التقنيات التطبيقية الأسلوبية والجمالية لأنه بحث في تقنيات التعبير الأسلوبي المؤطر بالجمال لتحقيق التأثير في المتلقي، ولاسيما إذا اقترن بأسلوبي الترغيب والترهيب بوصفهما من أهم وسائل الدعوة والإقبال على عبادة الله الواحد الأحد إحقاقا لإقناع للمتلقي بالبراهين القطعية عبر الصياغات النظمية المعجزة انصياعا للدعوة.

الكلمات المفتاحية : نعيم؛ مشاهد؛ نار

التمهيد:

أولا: توازي البنى الضدية:

والموازاة تعني المقابلة أو المواجهة [1]،لأنها تعتمد التأليف الثنائي والتعادل والتماثل وليس التطابق[2]وإلا تحول إلى تكرار، فلا يتضح المقصد من توازي البنى وتغايرها، فهو التشابه الذي يتضمن إعادة لبنية ما أو لبعض عناصرها مع اشتراك في المعنى واختلاف

* مدرس / قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل .

** مدرس مساعد / قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل

(1) ينظر: معجم مقايس اللغة، ابو الحسين أحمد بن فارس(395هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ' دار الفكر ،1399هـ-1997م.:6/ 1107 (مادة وزى).

(2) ينظر: قضايا الشعرية ،رومان ياكبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال ،الدار البيضاء ،ط1، 1988م. :103.

فيه[1]. ولذلك عرف التوازي بأنه "تنمية لنواة معنوية سلبيا أو ايجابيا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية معجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضمانا لانسجام الرسالة "[2]، وهذا يعني بالضرورة أن بنى النص –لا تخلو البتة– من حصول التوازي على أي صعيد بوصفه خاصية لصيقة بكل الآداب وعنصرا تأسيسيا وتنظيميا في الوقت نفسه[3]، إذ يحقق تناظرا وتناسبا إنه حجة جمالية واقناعية أيضا[4]،فدراسته لا تهتم بجانب الشكل على حساب المضمون لأنه ينحو إلى البحث عن العلاقة بين التشكيل والدلالة عبر كشف دور البعد الصوتي والإيقاعي في انجاز البعد الدلالي[5].

وبناء على ما تقدم فأهمية التوازي تتضح في كونه نسقا عاما يسهم في إبراز وحدة النص وشد جزئياته بعضها إلى بعض على نحو منتظم ومتوازن لأنه بؤرة التجمع لشتى التوازنات وعلى مختلف الأصعدة لما له من إمكانيات متجددة وغير متوقعة في الترنيمات التجاوبية للموسيقى مما يشكل ظاهرة إيقاعية[6]، ولاسيما في توازي البنى الضدية (المتغايرة) المعتمدة على المقابلة ،لأنه قائم على أساس التناوب بين طرفين متقابلين [*]،إذ

---

(1) ينظر: التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي،ط1996،1م :99.

(2) تحليل الخطاب الشعري :استراتيجية التناص، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،بيروت، ط، 1985م :25.

(3) ينظر: – التلقي والتأويل: مقاربة نسقية ،د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي ط1، 1994م:149.

(4) ينظر: م ، ن :151.

(5) ينظر: التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، سامح الرواشدة، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد16،العدد2،لسنة1998: 11.

(6) ينظر: البنى الإيقاعية في مجموعة محمود درويش حصار لمدائح البحر، بسام قطوس، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد9،العدد8، لسنة 1999: 61.

(*) إذ ينقسم التوازي نظرا لاعتماده التركيب الثنائي على قسمين هما: توازي البنى المتشابهة وله الياته الخاصة وتوازي البنى المتغايرة وله اليات متعددة كالالتفات والاستعارة والترتيب والمطابقة والتضاد ينظر: – التوازي في القرآن الكريم، وداد مكاوي حمود الشمري، أطروحة دكتوراه، بإشراف :أ. د شجاع مسلم العاني ،أ.م. د حيدر لازم مطلك ،كلية التربية للبنات ،جامعة بغداد،1422هـ–2001م :159–160.

"يتسم هذا النمط بوجود تقابل دلالي بين عنصرين أو بين موقعين في سلسلتي كل متوالية على حدة"(1)،فهو يضم عناصر دلالية وصوتية قائمة على الموافقة والمخالفة مع مراعاة الموقع في التقديم والتأخير(2)، إذ تعد المقابلة من أهم الفنون البلاغية والأسلوبية لما فيها من تصوير حالين عبر توالي التضادات فهي" إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى على الموافقة أو المخالفة"(3)،وتتمثل عند السكاكي (ت 626هـ) في" الجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما، ثم إذا اشترطت هنا شرطا، شرط هناك ضده"(4)، أما السيوطي(ت 911هـ) فالمقابلة عنده تعني: " أن يذكر لفظان فأكثر ثم أضدادهما على الترتيب"(5).

ولكثرة صور التقابل في القرآن الكريم ،" لم تعد تقرع الأسماع أو ترسم في الأذهان صورة من الصور القرآنية إلا توقعت الآذان أن تسمع تلك الصورة المقابلة المتوقعة، والتفتت الأبصار إلى ما يثبت تلك الصورة حتى ينجلي الفرق واضحا بين الصورتين وبضدها تتميز الأشياء"(6)،وبالتالي تتضح العلاقة بين المقابلة والتضاد الذي يعرف على أنه التقابل بين أمرين بحيث لا يتوقف تعقل كل منهما على تعقل الآخر، فيكون بين

(1) ينظر: اللغة الشعرية :دراسة في شعر حميد سعيد، محمد كنوني ،دار الشؤون الثقافية العامة(أفاق عربية)،بغداد، 1997م :271

(2) ينظر: الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية، محمد العمري:12.

(3) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(ت400هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، حلب ، ط1، 1371هـ-1952م :337.

(4) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت 626هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، بغداد، ط1، 1400هـ- 1980م :660.

(5) معترك الأقران في إعجاز القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت911 هـ)، بيروت، ط1 ، 1408هـ- 1988م : 315/1.

(6) الصور الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط1 ، 1995م :135-136.

قضيتين كليتين مختلفتين في الكيف حسب؛ أي بين الكلية الموجبة والسالبة(1)، فالضدان لا يجتمعان لكن يرتفعان كالسواد والبياض؛ أما النقيضان فلا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم والحركة والسكون(2)، وبذلك فالثنائيات الضدية تولد فضاء مائزا للنص، إذ تجتمع جملة علاقات زمانية ومكانية وفعلية فتتصادم وتتقاطع وتتوازى، فتغني النص وتعدد إمكانات الدلالة فيه ووفرة الثنائيات في النص دليل انسجام إيقاعاته وانفتاحه على أكثر من نحو(3)، لذا تجتمع فيه الخصائص الجمالية، فالتقابل الجمالي آلية فنية ملموسة تتجسد بخصائص لفظية محددة وأنظمة تركيبية كثيرا ما تنحرف عن معيارية النمط اللغوي السائد(4).

ثانيا: مفهوم الترغيب والترهيب لغة واصطلاحا:

لقد استعمل القرآن الكريم أساليب كثيرة في الدعوة الإسلامية، وكان من ضمن تلك الأساليب أسلوبا الترغيب والترهيب، أما الترغيب في اللغة: فمأخوذ من رغب في الشيء، يرغَبُ ، ورَغبا ورغَبا بسكون الغين وفتحها،(5) ويقال: "رغبه في الشيء ترغيباً إذا جعله

---

(1) ينظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ،د.عبد المنعم الحنفي ،مكتبة مدبولي ،ط3 ،2000م : 199.

(2) ينظر: م، ن : 481.

(3) ينظر : الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، د. سمير الديوب ،وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق،2009م :12.

(4) ينظر: التقابل الجمالي في النص القرآني دراسة جمالية فكرية وأسلوبية، د. حسين جمعة ،دار النمير النمير للطباعة والنشر، دمشق،ط1، 2005م:156.

(5) ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175ه)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، ط1 ، 1400هـ– 1980م :74/4 (مادة رغب).

يحرص عليه ويطمع فيه"[1] ، وأرغبني ورغبني فيه بمعنى واحد، ورغبه أعطاه ما رغب فيه،وما أراده. [2]

على أن دلالة الجذر (رغب)، تتحدد بحرف الجر الذي يتعدى به الفعل، "فإذا تعدى بحرف الجر(إلى) أفاد المعنى نفسه إذ يقال:رغب فيه وهو من رغب إليه"[3]، وبما أن أصل الرغبة أو الترغيب السعة في الشيء وفي الإرادة[4]، تكون السعة في شيءٍ معين أو إليها هو ما يراد ويطلب ويحرص عليه، لأن حرف الجر(في) يفيد الظرفية[5]، أما حرف الجر (إلى) فإنه يفيد انتهاء الغاية[6]، وإذا تعدى الفعل (رغب) بحرف الجر(عن) فإنه يفيد خلاف المعنى الأول إذ يقال:(رغب عن الشيء، بمعنى زهد فيه ولم يرده[7] ففيه معنى الكراهية لذلك الشيء والإدبار عنه كما قوله تعالى:﴿ ﴾﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ ﴾(سورة البقرة: الآية 130)، وقوله:﴿ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ ﴾(سورة مريم: الآية46)،"لان حرف الجر (عن) يفيد

(1) الصحاح تاج العربية وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجواهري(ت393هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط4، 1990م : 1 /137(مادة رغب).

(2) ينظر: البارع في اللغة، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي(ت356هـ)، تحقيق: هاشم الطحان، مكتبة النهضة –بغداد، دار الحضارة العربية– بيروت، ط1، 1975م : 315 (مادة رغب).

(3) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت 425هـ)، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم– دمشق، دار الشامية– بيروت، ط2، 1423هـ : 358(مادة رغب).

(4) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة التراث، القاهرة، 1383هـ : 89/3.

(5) ينظر: شرح الرضي على الكافية، رضي الدين محمد بن الحسن الأستربادي (ت 686هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قار، تونس،1398هـ– 1978م : 217/4.

(6) ينظر: م.ن : 278/4.

(7) ينظر: لسان العرب: 255/5(مادة رغب)، والبارع في اللغة: 315(مادة رغب).

المجاوزة"[1]،ومعنى المجاوزة فيها أنها تدل على "بعد الشيء عن المجرور بها بسبب ليجاد مصدر المعدى بها، نحو:رميتُ عن القوس، أي بَعُد السهم عن القوس بسبب الرمي"[2]،فإذا قلنا على سبيل المثال :" رغب المؤمن عن الذنوب، كان المعنى بعد المؤمن عن الذنوب، بسبب السعة الحاصلة بين المؤمن والذنوب، وليس بمعنى أن ما يراد الابتعاد عنه مما لا طمع فيه، وهو مما يكره ولا يراد"[3].وعليه فالترغيب اصطلاحا:" هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[4]،ومن جمالية الترغيب أنه وعد يصحبه تحبب وإغراء بلذة أو متعة آجلة مؤكدة مقابل القيام بعمل صالح أو الانتهاء عن عمل طالح، ابتغاء مرضاة الله، وذلك من رحمته(ﷻ) لعباده[5].

أما الترهيب في اللغة: فمأخوذ من رهِب بالكسر، يرهب رهبة، ورُهبا ورَهباً، ورَهَبا أي خاف،ورهب منه أي خاف منه[6]،وقيل: الرهبةُ الخوف والفزع، يقال:" أرهبه واسترهبه بمعنى أخافه وأفزعه، وترهبه: توعده"[7]، وقد ذكر الراغب الأصفهاني(ت 425هـ) أن" الرهبة والرهب مخافة مع تحرز واضطراب"[8]، أما أبو هلال العسكري(ت400هـ) فقد فرق

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت 761هـ)، تحقيق : محمد محي الدين العميد، دار الطلائع، القاهرة- مصر، ط1، 2009م : 166/1.

(2) شرح الرضي على الكافية: 319/4.

(3) دلالة الترغيب والترهيب اللغوية في القرآن الكريم، أحمد كاظم عماش، رسالة ماجستير، بإشراف: أ. م. د. صباح عطيوي عبود، كلية التربية، جامعة بابل، 1428هـ-2007م :3.

(4) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، بغداد، ط1، 1395هـ-1975م:670.

(5) ينظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، أحمد أحمد علوش، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتب اللبناني- بيروت، ط1، 1987م : 257.

(6) ينظر: كتاب العين: 47/4 (مادة رهب). المحيط في اللغة، الصاحب إسماعيل بن عباد(ت 385هـ)، تحقيق : محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1994م : 479/3(مادة رهب).

(7) لسان العرب:436/1 (مادة رهب)، وينظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت817هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشي، دار أحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط2 ، 1424هـ- 2003م : 98(مادة رهب).

(8) مفردات ألفاظ القرآن: 366(مادة رهب).

فرق بين الرهبة والخوف" على أن الرهبة طول الخوف واستمراره، ومن ثم قيل للراهب راهب لأنه يديم الخوف"[1].

ومن هذين القولين يتضح الاختلاف بين الترهيب والخوف ف" الترهيب أبلغ أثرا في النفس وأكثر دلالة على وعيدها من الخوف أو التخويف؛ لأن الترهيب خوف مستمر من جهة ، ويصحبه تحرز النفس واضطرابها من جهة أخرى"[2].والترهيب في الاصطلاح:" هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"[3]،ففيه وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم ، وعلى هذا كان للترغيب أهمية في الطاعات،ولا سيما في أنواع العبادات والمعاملات[4]،وكذا الحال مع الترهيب، إذ إن هناك أصنافا من الناس لا ينفع معهم الا التقريع[5]، وقد اتخذ القرآن الكريم هذين الأسلوبين سبيلا لتحقيق مبادئه وغاياته لأنه يتلاءم مع طبيعة النفس البشرية التي تحتاج إليهما دائما، ترغيبا في الخير، وبيان أجر فاعله في الدنيا والآخرة، وترهيبا من الشر وعاقبته السيئة في الدنيا والآخرة وهذا ما أكدته رسالات الأنبياء كافة[6]،ونلحظ أن أسلوبي الترغيب والترهيب كثيرا ما يتلازمان في القرآن الكريم –وهو محور بحثنا – تذكيرا بالثواب والعقاب، وإن من لا يؤثر فيه الترغيب وثوابه يؤثر فيه الترهيب وعقابه"[7].
وعقابه"[7].

ثانيا: بين يدي السورة الكريمة :

(1) الفروق اللغوية، أبو الهلال الحسن عبد الله بن سهل العسكري (ت 400هـ)،وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط3 ، 2005م : 217.

(2) دلالة الترغيب والترهيب اللغوية: 4.

(3) أصول الدعوة: 670.

(4) ينظر: وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغذوي، books. google.com : 193.

(5) ينظر : م. ن : 194–195.

(6) ينظر: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف ، دار السلام، ط2، 1424هـ–2004م :448.

(7) من أساليب التربية في القرآن الكريم: الترغيب والترهيب، عثمان قدوري مكانسي، www. Arab Voice. Com

- اسمها:

تعد سورة النساء أطول سورة مدنية بعد سورة البقرة، وسميت بذلك لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بالنساء بدرجة لم توجد في غيرها من السور القرآنية الكريمة، لذا أطلق عليها تسمية سورة النساء الكبرى ، في مقابلة سورة النساء الصغرى التي عرفت في القرآن الكريم باسم سورة الطلاق[1]، وعرفت سورة النساء بهذا الاسم في كتب السنة وكتب التفاسير،ولا يعرف لها اسم آخر"[2]. وفي الحديث الشريف عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: "ما نزلت سورة النساء ، وسورة البقرة إلا وأنا عنده" [3]، أي عند الرسول الله(ﷺ)

- نوعها وعدد آياتها:

تعد سورة النساء من السور المدنية المتفق عليها بين أهل العلم[4]، وتعد من السبع الطوال، يبلغ عدد آياتها مائة وخمس وسبعون في عدد أهل المدينة ومكة والبصرة، ومائة وست وسبعون في عدد أهل الكوفة،-وهو المعتمد في المصحف الشريف- ومائة وسبع وسبعون عند أهل الشام[5].

- ترتيبها وأسباب نزولها:

وقد عدت الثالثة والتسعون في ترتيب السور القرآنية، نزلت بعد سورة الممتحنة وقبل سورة الزلزلة[6]، أما ترتيبها في المصحف الشريف؛ فهي الرابعة تسبقها سورة آل عمران

---

(1) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، المكتبة العصري، صيدا- بيروت، ط1، 1429هـ-2008م:217/1. وإيجاز البيان في سور القرآن، محمد علي الصابوني دار الجيل، بيروت، ط1: 15.

(2) ينظر: التحرير والتنوير المسمى (تفسير ابن عاشور) ، محمد الطاهر بن عاشور(ت 1393هـ)، مؤسسة التاريخ، بيروت- لبنان، ط1، 1420هـ-2000م :5/4.

(3) شعب الإيمان، أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ :431/2(الحديث رقم 2310).

(4) ينظر: المكي والمدني، محمد شفاعت رباني: 6. www. Quran complex. com

(5) ينظر: التحرير والتنوير:7/4.

(6) م، ن:4 /6.

وتليها سورة المائدة، وأما عن أسباب نزولها؛ فلم يرد لسورة النساء سبب عام للنزول، وإنما تحوي على أسباب نزول خاصة تتعلق بعدد من آياتها.

- فضائلها:

فقد وردت أحاديث نبوية في فضل سورة النساء منها ما روي عن أبي أُمامة عن أبي كعب قال: قال رسول الله (ﷺ): "من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ورث ميراثاً، وأعطى من الأجر كمن اشترى محرراً وبرئ من الشرك، وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم"[1]، ومما روى عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال: " من قرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء كتب عند الله من الحكماء" [2] .

- موضوعاتها:

أما عن أبرز محاور السورة الموضوعية[3] ، فقد ضمت أحكاماً تشريعية للمسلمين تهتم بتنظيم العلاقات الداخلية بدءا من الأسرة ومروراً بالمجتمع وتكافل أبنائه، وانتهاء بتنظيم العلاقات الخارجية وتأسيس كيان الدولة ومؤسساتها وقوانينها وتعاملاتها مع غيرها من الدول والأقليات كاليهود وتنظيم العلاقات معهم.

فتعرضت السورة لموضوع المرأة وصانت كرامتها، وحفظت كيانها، ودعت إلى إنصافها بإعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى كالميراث وتوزيعه العادل الذي يكفل تحقق العدالة الاجتماعية، فضلاً عن إحسان المعاشرة لهن، كما تحدثت السورة عن المحرمات من النساء بالنسب والرضاعة والمصاهرة، فضلاً عن تنظيم العلاقات الزوجية وبينت أنها ليست علاقة جسد؛ وإنما هي علاقة إنسانية، وأن المهر ليس ثمناً، وإنما هو عطاء عن طيب نفس يوثق المحبة ويربط القلوب، وتطرقت السورة لموضوع حق كلٍ من الزوجين على الآخر، وأرشدت إلى الخطوات التي يسلكها الرجل عند حدوث الشقاق والخلاف، وبينت معنى القوامة، وأنها ليست قوامة استعباد وتسخير، وإنما هي قوامة

(1) فتح القدير، الشوكاني: 357/1.
(2) م ، ن : 357/1.
(3) ينظر: صفوة التفاسير: 156/1-157.

نصح وتأديب.

وانتقل الحديث بعد ذلك إلى دائرة أكبر وهي المجتمع فدعت إلى الإحسان في كل شيء، وحثت على التكافل والتراحم والأمانة والعدل لتكوين مجتمع قوي الأركان، وانتقلت السورة من الإصلاح الداخلي إلى الأخذ بالأسباب بما يعزز الأمن الخارجي بالعدد والعدة لمكافحة الأعداء، وحددت القواعد للمعاملات الدولية بين المسلمين والدول الأخرى سواء أكانت محايدةً أم معادية، وما يتبع ذلك من الآمر بالجهاد والقضاء على المنافقين فهم نابتة السوء وجرثومة الشر، وبينت ضلالات النصارى في أمر المسيح عيسى(عليه السلام)، إذ غالوا في اعتقادهم بإلوهيته، واختتمت السورة بالتحذير من الوقوع في الضلالة.

أولا: الترغيب في الإيمان والترهيب من الكفر

رغب الله (سبحانه وتعالى) في الإيمان ورهب من الكفر، والإيمان في اللغة:" معناه التصديق"[1]، وفي اصطلاح الشرع:" هو التصديق بما جاء به الرسول الكريم محمد(صلى الله عليه وسلم) مما علم من الدين بالضرورة أو ما أشبهها من الأدلة اليقينية"[2].

أما الكفر لغة: فهو ستر الشيء يقال: كفر الزراع البذر بالتراب فهو كافر، وكفر النعمة ترك أداء شكرها،[3] والمقصود بالكفر اصطلاحا:" التكذيب بالله، وبما جاءت به رسله عنه، كلا أو بعضاً"[4].وقابل الله (سبحانه وتعالى) بين الإيمان والكفر في القرآن الكريم " ليظهر مزايا الإيمان ومحاسنه، ومعايب الكفر ومساوئه الوخيمة وهذا التقابل المباشر بين هاتين

(1) لسان العرب:1/ 224(مادة امن).

(2) العقيدة الإسلامية(أركانها- حقائقها- مفسداتها)، مصطفى سعيد الخن، ومحي الدين ديب، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط6، 1430هـ-2009م 13.

(3) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، المكتبة الاسلامية، القاهرة ،ط2 1392- 1972م : 791/2 (مادة كفر).

(4) العقيدة الإسلامية:577.

الطائفتين إنما هو ترق في أسلوب الدعوة ترغيبا وترهيبا؛ لان الأمور المتضادة تتجلى المحاسن فيها إذ ما قورنت في آن واحد بمساوئ السيئ فيها"[1].

وقد ورد توازي البنى الضدية ضمن سياق نصي واحد بين الإيمان والكفر في سورة النساء كثيرا[*]،ومن أمثلته قوله تعالى:﴿ ﴾﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طه الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَأٍ فَاطِرٍ يس الصَّافَاتِ ص الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى ﴾ (سورة النساء: الآيتان 56-57).

يظهر لنا توازي التضاد المعتمد على المقابلة بين حالين مختلفين تماما جسدا العقاب والثواب جراء الكفر والإيمان وتواشجهما في الآيتين الكريمتين بين ﴿ ﴿ سُورَةُ ﴾ و ﴿ طه الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ ﴾، وبين ﴿ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ ﴾ و ﴿ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ ﴾، وبين قوله تعالى ﴿ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ ﴾ و ﴿ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَأٍ فَاطِرٍ يس الصَّافَاتِ ﴾

وتتجلى أهمية تقديم آية الترهيب على آية الترغيب لمناسبة ما سبقها من الآيات، فعندما بين الله (ﷻ) أحوال اليهود والكفرة وأنهم انقسموا على فريقين: فريق آمن بمحمد (ﷺ) وفريق آخر أصر على الكفر والصد عن دين الله (الإسلام) لقوله تعالى: ﴿ ﴾ (سورة النساء: الآية 55)، فرهب الله (ﷻ) الذين استمروا على الكفر، ثم أعقبه بالترغيب في الإيمان، فجاءت آية الترغيب تكميلا لبيان سوء حال

(1) نصوص الترغيب والترهيب في القرآن الحكيم من وجهة بلاغية، يوسف عبد الله الأنصاري ،أطروحة دكتوراه، بإشراف أ. د عبد العظيم إبراهيم المطعني، جامعة أم القرى، 1413هـ :119.
(*) ينظر: الآيات القرآنية :97-99، 136-137، 170.

الكفرة[1]، ولزيادة تحسر الكافرين على حالهم ومصيرهم مقارنة بحال من آمن وما يتمتعون به من نعيم الجنان، وأكد وعد الذين آمنوا (بالسين) في قوله تعالى ﴿ النور ﴾ ،أما وعيد الكافرين فجاء بأسلوب التوكيد ب(إن)،ثم أعقبه توكيد ثان ب(سوف) في قوله تعالى ﴿ ﴾﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء ﴾، فأسهمت في إثارة الرهبة والفزع لما يؤول إليه حال الكافر، ومعنى ﴿ البقرة آل عمران النساء ﴾ ، أي سوف ندخلهم نارا عظيمة هائلة تشوي الوجوه والجلود[2]،

ونرصد جمالية توازي التضاد بين حال الفريقين في الآخرة بذكر الأوصاف المائزة لكلا الفريقين، إذ اقتصر سبحانه عند ذكر حال المؤمنين في الجنان على لذة الجنان والأزواج، لأنهما أحب اللذات إلى الانسان، ولزيادة غيض الكافرين وحسرتهم، ثم وصفت الآية جمال الجنان ولذة النعيم فيها برؤية النور مع انتقاء حره[3]، أما حال الكافرين في النار فإنهم يلاقون العذاب فيها، كلما احترقت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها، والتبديل يقتضي المغايرة، ولفظة (غيرها)، جاءت تأكيدا لما دل عليه فعل التبديل[4]، وأما وقوله تعالى ﴿ هود يوسف الرعد ﴾ فعلى الاستعارة ؛لأن واسطة الذوق يكون باللسان واستعير للألم الذي يصيب الإنسان[5]، فاللفظة انتقلت من ميدانها الحقيقي الايجابي في تذوق الأشياء ومعرفة طعمها إلى ميدان جديد تجسد في تذوق العذاب وهذا يعرف بتبادل الحواس وتراسلها ، وهو نوع من الانزياح وهذا من روائع النظم القرآني للتعبير عن أدق

(1) ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المسمى (تفسير أبي السعود)، أبو السعود محمد ابن مصطفى العمادي الحنفي (ت 982هـ)، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ–1999م : 153/2.

(2) صفوة التفاسير :282/2.

(3) ينظر: التحرير والتنوير: 159/4.

(4) ينظر: م. ن: 158/4–159.

(5) صفوة التفاسير :282/2–283..

المعاني، لتختتم آية العذاب بقوله تعالى﴿ إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف ﴾،أي"عزيز لا يمنع عنه شيء حكيم لا يعذب إلا بعدل"[1]وهذا ميزان العدل الحقيقي .

ونلحظ أن تصوير مشاهد العذاب والنعيم في الآخرة عن طريق المقابلة الأسلوبية بين الحالين له دلالة كبيرة بإثارة الفزع والحذر من تصوير مشاهد النار وما فيها من عذاب وإثارة للانفعالات الوجدانية، وإشاعة اللذة النفسية في تصوير الجنان وما فيها من نعيم[2].فالآية جامعة لعدد من الأضداد في مقابلات أسلوبية بين حقليين دلاليين هما الترغيب في الإيمان والترهيب من الكفر وما يندرج تحتهما من وعد ووعيد،واجر وعقاب ونعيم وعذاب،فتزامن الإيجاب مع السلب تزامنا تاما عبر توازي البنى الضدية

ومن أمثلة توازي التضاد بين الإيمان والكفر أيضا قوله تعالى: ﴿ٱلْعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾(سورة النساء: الآية 76)،فنرصد في الآية الكريمة جمالية توازي المقابلة بين فريقين :فريق الإيمان وفريق الكفر ،ففريق الإيمان يقاتل في سبيل الله لتحقيق شريعته سبحانه ونصرة دينه وإقامة العدل بين الناس،أما فريق الكفر فيقاتل في سبيل الطاغوت أي"الشيطان الداعي إلى الكفر والطغيان"[3]، فتوازي البنى الضدية المتقابلة تم بين (آمنوا وكفروا) من جهة،وبين(في سبيل الله وفي سبيل الطاغوت) من جهة أخرى، ولا يخفى ما في هذه المقابلة من ترغيب للمؤمنين على القتال وتشجيعهم، والترهيب من الكفر والكافرين وما يقاتلون في سبيله،وشتان ما بين الفريقين وحالهما،والخطاب في قوله تعالى: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ موجه للمؤمنين، وفي ذكر(أولياء الشيطان) دلالة على أن ذلك جاء نتيجة لقتالهم في سبيل

(1) م. ن: 283/1.
(2) ينظر: مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب (ت 1387هـ)، دار الشروق القاهرة، ط15،1425هـ-2004م :8-9.
(3) صفوة التفاسير: 290/1.

الشيطان، والإشعار بأن المؤمنين أولياء الله؛ لأنهم يقاتلون في سبيله،وتأكيدا لإيمانهم، وتقوية لعزائمهم، وترهيبا لهم من الكفر وعاقبته[1].

ثم أعقبه قوله تعالى: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ فهذه الجملة "تذييل مؤكد لمضمون ما قبله، وفيه إغراء للمؤمنين بقتال عبدة الطاغوت، وأكد الخبر ب(إن)؛ لأن مضمونه حقيقة عظيمة، وأن الحقائق العظيمة يعبر عنها بأسلوب عظيم مثلها"[2]، ثم أكدت الجملة بمؤكد ثان هو(كان) الزائدة الدالة على وصف ضعف كيد الشيطان[3]،فالتوازي هنا جسد صورة التضاد والتنافر بين عالمين من الاعتقاد مختلفين في المبدأ والأهداف وما يتبعهما من ثواب وعقاب ضمن أسلوبي الترغيب والترهيب .

ومن أمثلة توازي التضاد بين الإيمان والكفر في السورة الكريمة أيضا قوله تعالى: ﴿ٱلْعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ﴿سُورَةُ الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور ﴾(سورة النساء: الآيات ١٥٠– ١٥٢)، فقد قابل الله (ﷻ) في هذه الآيات الكريمات بين الإيمان والكفر عن طريق توازي المقابلة بين المسيئين والمحسنين، من جهة ، وبين النذارة والبشارة من جهة أخرى[4]، فقدم الترهيب من الكفر في﴿ٱلْعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ﴾على الترغيب بالإيمان في ﴿ الأنعام الأعراف الأنفال التوبة ﴾ وقوله تعالى:﴿ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾، يقابلها ﴿ يونس هود يوسف الرعد إبراهيم ﴾، ثم ذكر الوعيد بقوله تعالى: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿سُورَةُ الفاتحة البقرة آل عمران النساء ﴾ وقابلها بوعد المؤمنين﴿ الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون ﴾.

---

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم، ا: 164/2.

(2) نصوص الترغيب والترهيب :200.

(3) ينظر: التحرير والتنوير: 188/4.

(4) ينظر: م. ن: 299/4.

فرهب الله (ﷻ) من الكفر وعرض صفات الكافرين وهم اليهود والنصارى؛ لان اليهود يدعون الإيمان بأنبيائهم وينكرون رسالة محمد(ﷺ)، وعيسى (عليه السلام) ، أما النصارى فيؤمنوا بعيسى (عليه السلام)، فضلا عن تأليهه وينكرون رسالة النبي محمد (ﷺ) (1)، وكانوا يريدون بفعلتهم هذه- الإيمان ببعض الأنبياء والكفر بالبعض الآخر- أن يتخذوا سبيلا وسطا بين الإيمان والكفر ليسلكوه مع أنه لا واسطة بينهما قطعا(2)، وأن القرآن الكريم ينكر على هؤلاء وهؤلاء، ويقرر التصور الإسلامي الشامل للإيمان بالله ورسوله دون تفريق بين الله ورسله من جهة ، وبين الرسل جميعا من جهة ثانية وبهذا الشمول كان الإسلام هو الدين الذي يقبله الله تعالى من الناس جميعا، لأنه هو الدين الذي يتفق مع وحدانية الله، ومقتضيات هذه الوحدانية(3)، ثم يبين القرآن الكريم إن الصفات القبيحة لهؤلاء اليهود والنصارى تجعلهم الكفار حقا، ولا وجود لما يدعونه ويسمونه إيمانا، ولفظة (حقاً) مصدر مؤكد لمضمون الجملة، ووضع الظاهر مكان المضمر في قوله: ﴿ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ ﴾ ذما وتذكيرا لوصفهم المعلوم(4)، كما وصف سبحانه العذاب الذي يلحق بهم بالمهين؛" لأنه يهينهم ويذلهم جزاء كفرهم الذي ظنوا به العزة" (5).

وبعد هذا الترهيب من مصير الكافرين وما ينتظرهم من الوعيد يذكر الله (ﷻ) السياق الترغيبي المقابل وفيه صفات المؤمنين المخلصين في إيمانهم في سياق تعليلي، فضلا عن إيمان أهل الكتاب، ولاسيما (عبد الله بن سلام) (6)، فهذا الفريق يؤمن بكل

---

(1) ينظر: - في ظلال القرآن، سيد قطب (ت 1387هـ)، دار الشروق، القاهرة، بيروت،ط1،1429هـ-2008م: 6/ 797.

(2) ينظر: إرشاد العقل السليم: 215/2.

(3) ينظر: في ظلال القرآن: 6/ 797.

(4) ينظر: إرشاد العقل السليم: 215/2.

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت 1270هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر،(د. ط) ، (د.ت) : 7/6.

(6) ينظر: التحرير والتنوير: 299/4.

الرسل ولا يفرق بين أحد منهم، لذا سوف يؤتيهم الله (ﷻ) أجورهم الموعودة، وتصدر الوعد ب(سوف) لتأكيده وللدلالة على أنه كائن ومستمر[1]، وذيلت الجملة ب﴿ طه الأنبياء الحج المؤمنون ﴾ للترغيب في الإيمان ؛ لان الله يغفر ما سلف من الكفر بعد التوبة،وهو الرحيم بعباده [2].

ومن خلال هذا التوازي لبنى التضاد بين صفات الكافرين وصفات المؤمنين، وذكر وعيد الكافرين ووعد المؤمنين تظهر لنا جمالية المقابلة بين الترغيب في الإيمان والترهيب من الكفر.

ثانيا: الترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية

رغب القرآن الكريم في طاعة الله ورسوله؛ لأنها السبيل الذي يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة، ورهب من معصيتهما لما في ذلك من فساد وإضرار على الفرد في الدنيا والآخرة، وقد ذكر توازي التضاد المعتمد على المقابلة بين طاعة الله ورسوله وبين المعصية في سورة النساء بعد آيات الميراث وبيان تقسيم الإرث والمقدار الذي يستحقه كل وارث، مرغبا في الالتزام بهذه الآيات لأن فيها طاعة لله ورسوله، ومرهبا من تجاوزها؛ لان في ذلك معصية لله ورسوله فقال تعالى:

﴿ فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة ﴾ (سورة النساء: الآيتان 13 – ١٤) .

إذ ابتدأت الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿ فصلت الشورى الزخرف ﴾ أي تلك الفرائض والتشريعات التي شرعها الله (ﷻ) لتقسيم التركات على وفق علمه وحكمته لتنظيم الحياة العائلية في الأسرة، والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، هي حدود الله التي

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم: 215/2.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 299/4.

أقامها لتكون الحكم العادل في التوزيع والتقسيم [1] ، والحدود جمع حد، واستعمل هنا مجازا في العمل الذي لا تحل مخالفته على طريقة التمثيل [2].

إذ تحقق التوازي عبر المقابلة بين الترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية في هاتين الآيتين، ولاسيما تأكيد طاعة الله ورسوله في كل أمر ونهي والترغيب في ذلك، والترهيب من معصية الله ورسوله في كل أمر ونهي، إذ توازت عدة تضادات في سياق تقابلي واحد وشكلت لنا صورة تبرز للمتلقي بعد الهوة بين الحالين، ولاسيما بين وقوع فعل الطاعة وما يقابلها من العصيان لقوله تعالى:﴿ الجاثية الأحقاف محمد الفتح ﴾و﴿ الجمعة المنافقون التغابن الطلاق ﴾ وبين جزاء الفعل لقوله سبحانه: ﴿ الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة ﴾ الحديد ليقابلها قوله تعالى: ﴿ القلم الحاقة المعارج نوح ﴾، ونرصد جمالية النظم القرآني في هذه التوازيات المتقابلة أسلوبيا وسياقيا في إطار جمالي بين الوعد بالجنة والوعيد بالنار، إذ آثر سبحانه صيغة الجمع في السياق الترغيبي (خالدين فيها)،بينما اختار الصيغة الإفرادية في السياق الترهيبي(خالدا فيها)، "للإيذان بأن الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع أجلب للإنس، كما أن الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد أشد في استجلاب الوحشة"[3].

أما قوله تعالى: ﴿ المجادلة الحشر الممتحنة ﴾، فيقابلها ﴿ الجن المزمل المدثر ﴾. ونلاحظ معنى البعد في اسم الإشارة ﴿ المجادلة ﴾ للإيذان بكمال علو درجة ذلك الفوز الذي وصف بالعظيم [4]، في حين أن مقصد العذاب المهين هو العذاب المذل، إذ جمع الله تعالى للعصاة المعتدين عذابا جسمانيا وعذابا روحيا[5]، لا يعلمه إلا هو سبحانه وهذا فيه زيادة في الترهيب والتخويف.فبينت الآية الكريمة أن تلك المعصية ستكون سببا لدخول

(1) ينظر: في ظلال القرآن:4/ 595.
(2) ينظر: التحرير والتنوير: 55/4.
(3) إرشاد العقل السليم: 109/2.
(4) ينظر: م. ن: 109/2.
(5) ينظر: روح المعاني : 131/4.

النار ومقاساة عذابها الأليم؛ لأن المعصية تصدر عن عدم الرضا بما قسمه الله تعالى وحكم به، ولهذا يجازى العاصي بالإهانة في العذاب الأليم[1].

وقد تحقق توازي بنى التضاد المتقابلة بين الترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية في الآيتين الكريمتين بأسلوب الشرط، وباستخدام الأداة (مَنْ)، وفعل الشرط في الترغيب (يطع) وفي الترهيب ﴿ الْمُنَافِقُونَ ﴾ أما جواب الشرط في الترغيب والترهيب على السواء فكان﴿ الْقَلَمِ ﴾ وهو جملة فعلية ، أفادت التجدد والحدوث؛ "لان الفعل يفيد التجدد والحدوث"[2] ، وبهذا تتضح الجمالية الأسلوبية في هاتين الآيتين.

ومن أمثلة التوازي لبنى التضاد بين الترغيب في طاعة الرسول والترهيب من معصيته في هذه السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله﴾ (سورة النساء: الآية 80) ، فقد قابل القرآن الكريم في هذه الآية بين طاعة الرسول ومعصيته ، فرغب الله (ﷻ) في طاعة الرسول(ﷺ) وبين أن طاعته طاعة لله؛ لأنه لا يأمرهم إلا بما أمر الله تعالى به ولا ينهاهم إلا بما نهى الله عنه[3] ، فقال تعالى:﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ثم قابلها بالترهيب من معصيته فقال تعالى:﴿ ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ وجواب الشرط هنا محذوف تقديره (فقد عصاه) والمذكور تعليلا له وقد قام مقامه للمبالغة [4] في الترهيب من المعصية،ثم بين الله (ﷻ) لنبيه (ﷺ) أن من تولى أو أعرض واستمر على المكابرة فلست حارسا لهم أو مسؤولا عن إعراضهم ، وهذا تعريض بهم وتهديد لهم، بأن يصرف النبي محمد (ﷺ)، نفسه عن

(1) ينظر: تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، دار الفكر، بيروت،1407هـ-1986م : /462.

(2) معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، ط1، 1401هـ-1989م:9.

(3) ينظر: دلالة الترغيب والترهيب اللغوية: 12.

(4) ينظر: روح المعاني : 487/4.

الانشغال بهم؛ لأن الله هو الذي سيتولى عقابهم جزاء عصيانهم لنبيه (ﷺ)[1] .

ومن هذا التوازي لبنى التضاد تتضح دلالة الترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية لله ورسوله.

رابعا: الترغيب في التوبة والترهيب من عدمها.

رغب الله (ﷻ) في التوبة، والتوبة" هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب"[2] ، فمن رحمة الله بعباده أنه تواب يقبل التوبة النصوح، والتوبة النصوح" هي توثيق العزم على أن لا يعود لمثله"[3].

وقد جاء توازي البنى الضدية المعتمد على المقابلات الأسلوبية في سياق نصي واحد، بين الترغيب في التوبة والوعد بقبولها والترهيب من عدم قبولها في السورة الكريمة فقال تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آل عِمۡرَان النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنۡعَامِ الأَعۡرَافِ الأَنفَالِ التَّوۡبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعۡدِ إِبۡرَاهِيمَ الحِجۡرِ النَّحۡلِ الإِسۡرَاءِ الكَهۡفِ مَرۡيَمَ طه الأَنبِيَاءِ الحَجِّ المُؤۡمِنُونَ النُّورِ الفُرۡقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمۡلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ ﴾ (سورة النساء: الآيتان 17-18) فالتوبة في السورة الكريمة ليست خاصة لمن يأتي الفاحشة حسب،فهي تصلح للتوبة عن كل شيء نهى الله تعالى عنه كالتوبة من الكفر ومن المعاصي وغير ذلك.

فالآية الأولى ضمت بين دفتيها شرطي قبول التوبة؛ وهو أن يكون العبد قد ارتكب المعصية بجهالة أولا، ثم تاب من زمن قريب ثانيا، ومما نقل عن الصحابة قولهم: كل من عصى الله خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب[4]، وهنا تحقق الشرطان الجهالة والإقلاع نهائياً عن الذنب، ومعنى قوله تعالى:﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ،" أي يجددون التوبة، ولما

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 198/4.

(2) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت 816هـ)،تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1423هـ- 2002م : 61.

(3) م. ن: 61.

(4) ينظر: تفسير ابن كثير: 464/1.

كان المراد الترغيب فيها ولو قصر زمنها بمعاودة الذنب أثبت الجار (من)، أي من بعض زمان قريب من زمن المعصية وهم في فسحة من الأجل، وذلك كناية عن عدم الإصرار عن المعصية إلى الموت"[1]،فرغب الله تعالى في التوبة بقوله: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ﴿ ﴾ وقابلها بالترهيب من عدم قبولها بقوله تعالى: ﴿النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال ﴾ ،

فنرصد في آية الترغيب جمالية حرف الجر(على) الذي أفاد معنى الاستعلاء المجازي، بمعنى التعهد والتحقق، أي أن التوبة تحق على الله (ﷻ)، وهذا مجاز في تأكيد الوعد بقولها حتى جعلت كالحق على الله، ولاشيء واجب إلا وجوب وعده بفضله[2] ، أما عن جمالية أسلوب الترهيب فقد تحققت عن طريق النفي بالفعل (ليس)،" وهو يفيد نفي الخبر عن الاسم في وقت الحال"[3]، ففيه تنبيه على نفي نوع من التوبة وهي التي تكون عند اليأس من الحياة أو المشارفة على الموت أو حصوله[4]، ومما عمق دلالة الترهيب ورود الأسلوب الاستعاري في قوله تعالى: ﴿ التوبة يونس هود يوسف الرعد ﴾، وكأن الموت شُخص بصورة إنسان حضر ليأخذ هذه الروح ، وهو من باب الاستعارة المكنية، فحذف الإنسان وأبقى شيئا من لوازمه وهو الحضور.

ثم يأتي وعد الله للتائبين في قوله تعالى: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ سورة الفاتحة ﴾، ليقابلها الوعيد لمن لم يتب أو تأخر في توبته وشارف على الموت في قوله تعالى ﴿ النور الفرقان الشعراء النمل القصص ﴾، والتعبير في وعد التائبين ب(أولئك) فيه إيذان ببعد مرتبتهم ورفعة شانهم من حيث أنهم تائبون ، أما الذين لم يتوبوا فقد هيئ الله لهم عذابا

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم عمر البقاعي(ت 885هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1392هـ– 1972م: 220/5.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 63/4.

(3) التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ط، 2008م :76.

(4) ينظر: التحرير والتنوير: 66/4.

موجعا، وفي تقديم الجار(لهم) على المفعول الصريح (عذابا) إظهارا للاعتناء بكون العذاب مهينا لهم،على أن تنكير(عذابا) جاء للتفخيم والتهويل من مصيرهم[1].

ومن هذا يتضح الدور الأسلوبي الذي أداه توازي البنى الضدية في المقابلة بين أسلوبي الترغيب والترهيب في بيان تضاد حال فريقين من الناس في الدنيا والآخرة من خلال الترغيب في التوبة وقبولها والترهيب من تأخيرها وعدم قبولها .

الخاتمة

أما عن أهم النتائج التي توصل البحث إليها فكانت على النحو الآتي:

- كشف البحث عن أهمية التوازي بوصفه من التقنيات الأسلوبية التي تبرز جماليات النص ومحاولة سبر أغواره لكونه يشكل عاملا مشتركا بين البنى النصية كافة لأنها متوازية مادام التوازي يتضمن التشابه لإعادة بنية ما أو بعض عناصرها مع اشتراك في المعنى واختلاف فيه، في الوقت نفسه ،إذ التوازي من أهم عوامل وحدة النص والترابط النصي لأجزائه المشكلة له فهو ليس بنية لغوية حسب بل هو بنية عبر لسانية أسلوبية.
- يعد التوازي نسقا عاما يعتمد التركيب الثنائي وتجتمع فيه شتى التوازنات وعلى مختلف الأصعدة، وينقسم على قسمين توازي البنى المتشابهة، وتوازي البنى المتغايرة ويتضح من خلال القسم الأخير دور الثنائيات الضدية المتوالية وأثرها في المقابلات الأسلوبية المتوازية المؤطرة للنص في خلقها لفضاءات متجددة عبر الاشتغال في إطار علائقي متزامن لتتضح الجماليات النصية.
- يعد أسلوبا الترغيب والترهيب من أهم أساليب الدعوة الإسلامية ووسائلها في التأثير على المتلقي للإقبال على الطاعة والإيمان وعبادة الله سبحانه، والترهيب من المعصية والكفر عبر تزامن التذكير بالثواب والعقاب.
- أما عن تحقق هذين الأسلوبين في سياق واحد، فقد كشف البحث أن اجتماع أسلوبي الترغيب والترهيب يندرجان تحت مسمى (التقابل) الذي هو أحد أساليب البلاغة العربية، فغالبا ما يتقدم الترغيب على الترهيب، وقد يكون العكس، فيبدأ القرآن بذكر ما

(93) ينظر: روح المعاني :4/328-330.

فيه ترهيب ثم يردفه بما فيه ترغيب، وقد تحققت المقابلة من خلال تصوير مشاهد العذاب والنعيم في الآخرة التي أثارت الفزع من خلال تصوير مشاهد النار وما فيها من هول وعذاب، وإثارة الراحة النفسية بتصوير الجنان وما فيها من نعيم، كما وقد تحققت المقابلة أيضا من خلال ذكر وعد المؤمنين ثم وعيد الكافرين.

References:

- 'Ahmd Bin Faris, Maqayis AlLughati, dar alfikr - bayrut, 1979, 6700 .

- AlJirjani, AlMuqtasid Fi Sharh Al'Iidaha, Manshurat Wizarat AlThaqafat Wal'iielami, aljumhuriat aleiraqiati, 1982, 1250.

- AlJirjani, Dalayil Al'Iiejaz , Maktabat AlKhanji, Matbaeat AlMadani, dar aljili, bayrut, lubnan , 2004, 420 .

- AlJrjany, 'Asrar AlBalaghati, Matbaeat AlMadni- AlQahirati, 2010 , 350 .

- AlJwhry AlSihah (Taj AlLughat Wasihah AlEarabia), dar aleilm lilmalayin - bayrut , 1987, 8500 .

- AlSamin AlHlby, AlDr AlMasun Fi Eulum AlKitaab AlMaknuni, dar alqalam - dimashqa, 2001, 1400.

- AlShaykh Muhamad Tantawi, Nash'at AlNahw Watarikh 'Ashhar AlNuhat , Maktabat 'iihya' alturath al'iislami, 2005, 180 .

- AlZmkhshry, AlKashaf Ean Haqayiq AlTanzil Waeuyun Al'Aqawil Fi Wujuh AlTaawili, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, 2008, 4100 .

- 'Asrar AlTakrar Fi AlQurani, AlKarmani, dar alfadilat lilnashri, birut, 2010, 430 .

- Eadnan Jasim Muhamad, AlAyat AlQuraniat AlMutaealiqat Bialrasul Muhamad ρ: Qirasat Balaghiat Aslubiati, Diwan AlWaqf alsini, baghdad, 2009, 410 .

- Fadil AlSamrayy, AlJumlat AlEarabiat Walmaenaa, dar alfikri, bayrut, 2007, 340.

- Fakhriat Ghurayb Qadir, Tajaliat AlDalalat AlAyhayyat Fi AlKhitab AlQuranii Fi Daw' AlLisaniaat AlMueasirat Surat AlTawbat Anmwdhjaan, Ealam alkutub alhadithi, al'urduni, 2011, 400 .

- Jalal AlDiyn AlSywty, AlIaqtirah Fi Eilm 'Usul AlNuhu, dar albayruti- dimashq 2006, 340 .

- Muhamad Fataah, Tahlil AlKhitab AlShierii :Astiratijiat AlTanasu, AlMarkaz AlThaqafii AlEarabii, AlDaar albayda', bayrut, 1985, 410 .

- Muhamad Fataahi, AlTalaqiy Waltaawila: Muqarabat Nisqiat , AlMarkaz AlThaqafii alearabii, alribati, 1994, 360 .

- Muhamad Miftahi, AlTashabuh Aaliakhtilaf Nahw Minhajiat Shumuliati, AlMarkaz AlThaqafii alearabii, alribat , 1996, 350 .

- najam aldiyn altwfy, sharah mukhtasar alrawdata, muasasat alrisalat - bayrut, 1987, 620 .

- Ruman Yakibsun, Qadaya AlShieriata, dar tubaqal ,aldaar albayda', 1988, 450.

- Saed Mursi 'Ahmd, Tatawur AlFikr AlTarbawi, Ealam AlKutub - alqahirat , 1986, 230 .

- Samih AlRawashidi, Maghani AlNasi (Dirasat Tatbiqiatun) Fi AlShiear alhadithi, 2006, 350 .

- Sibwyhi, AlKitaab , dar alkutub aleilmiati, bayrut, 1999, 1800 .
- Sid Qutba, Fi Ailal AlQurani, dar alshuruq, birut, 2004, 2300 .
- Tamaam Hasaan, AlLughat Bayn AlMieyariat Walwasfiati, Ealam alkutub - masr, 2000, 240 .

The parallel of the Structures of Contrast in AL-Nisaa Sura. The Styles of Fonding and Fear as Samples

.Wasan Abdul Ghani Malullah*   & Maha Ali Ahmed**

Abstract

This paper aims at shedding light on the parallel of Contrast in Some Ayat which Contain the Styles of fonding and Fear in AL-Nisaa Sura and its effect in showing the aesthetic of these two styles in the Sura.

The parallel of the structure of contrast is regarded as on of the most important techniques in analyzing texts specially the Quranic .

It is connected with the styles of Fonding and Fear which are regarded as the most important means in Islamic Dawa. They represent an outstanding phenomenon in the holly Quran in general and in Al-Nisaa Sura in specific . This parallel of contrast depends on the stylistic contrast between the Ayat which have the styles of Fonding and Fear in contrastive style and include ;Fonding in Faith and threatening of blasphemy, and disobeyness and Fonding .

Key words : Bliss، Scenes، fire

* **Lect. / Department of Arabic Language / College of Education for Girls / University of Mosul**

** **Lect.Asst.. / Department of Arabic Language / College of Education for Girls / University of Mosul**